مبدأ التكافل الاجتماعيّ دليل وعي الشعوب ورُقيها وإنسانيّتها، وهو من متبنّيات الإسلام المحمديّ الأصيل الذي لطالما نهج السبل الكفيلة بالحفاظ على كرامة الإنسان وسعادته في الدارين، وسار على ذلك أولياء الله تعالى فاستقرّ الأمر عندهم بضرورة التوجّه إلى شريحة الفقراء ومساعدتهم والعمل على استمالة هذه الشريحة المستحقة؛ باعتبارهم أمانة الله في الأرض وهم مادة الاختبار للأغنياء والمؤسّسات التي تعمل في الساحة الإسلاميّة على وجه أخصّ.

والمعلوم أنّ هناك تباينًا في العمل من حيث رعاية هذه الشريحة، ولكن المهم في الأمر أن جدولة هذا الفنِّ كان في نظر المعصومين واضحًا؛ لذلك أسّسوا واقعًا ميدانيًّا سليمًا يضمن حقوق الفقراء ويتناسب مع ما يليق بحفظ كرامتهم، فمثلًا فتحوا الباب للعمل بمختلف المهن والاشتغال لكسب قوت يومهم. واشتهر أن المعصوم كان يعمل بيده، ونقل عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه كان يغرس النخل ويحفر الآبار ويعمل بالزراعة؛ ليفتح المسار أمام الناس، وليكون قدوة لغيره، فالناس حينما ينظرون إلى علي (عليه السلام) وهو يعمل بيده؛ لحرز لقمة عيشه، فذلك بابٌ لمن يرغب بالاقتداء به. ومن جانب آخر هي دعوة إلى العمل وعدم التثاقل وانتظار رحمة الناس أو عطائهم. فإنّ لقمة الإنسان إذا كانت من كدِّه وعرق جبينه فإن لها طعمًا مختلفًا عن غيرها.

وهذا الأمر بطبيعة الحال يفتح أبواب التأمّل أمام أعيُننا، ويبرمج لواقع ينفع الفقير قبل غيره، ويسهم في تنوير الرعاية الاجتماعية بما يحقّق الغاية، ويساعد على التخلّص من آفات ومشاكل كثيرة قد تكون بسبب البطالة والكسل

لذلك فإنّ رعاية الفقراء من قبل مؤسّسات الدولة بإعطائهم مبالغ شهرية ينتظرونها كالموظف العامل قد ينفع في جانب، بينما يسيء في جوانب أخرى كثيرة. إذ يتعلّم الفقير أن ينتظر الإعانة ولا يفكّر في استثمار الوقت من أجل أن يعمل أو يزرع أو غير ذلك.

إن قتل أوقات الفراغ بمعنى التخلّص من مشكلة كبيرة ولا سيما عند الشباب، لذلك فإنّ التوجّه الصحيح هو عدم إعطائهم الأموال على شكل رعاية شهرية؛ بل العمل على تعليمهم المهن المنتجة والعمل على مساعدتهم والأخذ بأيدهم إلى أن يتمكّنوا من إسعاف أنفسهم بامتهان بعض المهن التي قد تسهم في قتل فراغهم وتوفير حاجات معيشتهم و إنتاج ما يمكن إنتاجه من حاجة مجتمعهم، و بذلك نضمن مجتمعًا منتجًا بعيدًا عن التثاقل والتقاعس، ولن تجد من يشكل عالة على غيره، وكلّ بحسبه ، فمثلًا يمكن استحداث دورات تعلّم فنون الخياطة للنساء ومساعدتهم لشراء مستلزمات العمل؛ لتكون المرأة منتجة بدلًا من أن تكون عينها على الباب وتنتظر الرعاية آخر الشهر. وهكذا الشباب وغيرهم فكل فئة عمرية يمكن أن تناسبها مهنة أو عمل أو اختصاص، و بذلك ننتقل من مرحلة الاستهلاك إلى مرحلة الإنتاج. ومن مرحلة الاستغلال إلى مرحلة الاستثمار. وهكذا فإنّ تعليم الفقير اصطياد السمك خيرٌ له من أن تعطيه سمكة؛ لأنه إنْ تعلّم صيدها فسوف يأكل منها متى شاء ، و إن انتظرك أن تعطيه فقد لا يجدك حينما يحتاجك.